



شهر رجب ورعاية الحرمات

في كل نظام أرضي أو سماوي هناك حدود يقف الناس عندها يضعها العرف أو العادات أو القانون أو الشرع وتقدر عبودية الإنسان لله سبحانه وتعالى بمقدار رعايته للحرمات التي يسميها البعض خطوطا حمراء. شهر رجب يذكرنا بالحرمات فهو أحد الأشهر الحرم، وكانت هناك حرمت يراعيها العرب قبل الإسلام، منها حرمة القتال في الأشهر الحرم فإذا دخل شهر رجب نزعوا الحديد الذي في رأس السهم والرمح تعبيرا عن رغبتهم في وقف الحرب مع شدة تعلقهم بأخذ الثأر وتسميتهم للعدوان غزوا.

كانت العرب تراعي حرمة هذه الأشهر دون وجود مؤسسات دولية توقع العقوبات على المخالفين أو تهدد بها، ولا جهات رقابية كانوا يراعونها تحقيقا للسلم والأمن واحتراما لما ورثوه من دين إبراهيم عليه السلام.

بقي احترام الأشهر الحرم في الاسلام على معنى أوسع مما كان عند العرب، قال ربنا عن الأشهر الحرم: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} [التوبة: 36] وقال عنها النبي ﷺ: "إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ، مُضَرَّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ [1].

حرمات كثيرة ينبغي على المسلم أن يراعيها في الأشهر الحرم وفي غيرها على رأسها:

حرمة المسلم فالتأكيد على رعاية حرمت المسلمين هي من آخر ما أوصى به النبي ﷺ في خطبة الوداع "أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا [2] ولا شك أن آخر الوصايا هي أهمها بل إن النبي ﷺ يعرف المسلم والمؤمن بقوله: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ [3]. فالمسلم والمؤمن هو الذي يراعي حرمت الآخرين فلا يعتدي عليهم بلسانه أو بيده >

راعى الإسلام حرمة المسلم فأوجب احترام التكريم الإلهي له وفي هذا السياق يأتي قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: 11]

{إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: 23].



وأكد النبي ﷺ أن الاعتداء على هذه الحرمات يؤدي إلى الإفلاس «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [4]، وما أشد حسرة من يمضي عمره في جمع الحسنات ويراهها أمام عينه ثم يأتي من يأخذها منه في وقت هو أشد ما يكون حاجة إليها.

حرمة المال: صان الإسلام أموال الناس كما صان أعراضهم وتوعد من ينتهك حرمة المال بوعيد شديد {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: 29-30].

قال ﷺ «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ. وَأَوْجِبَ لَهُ النَّارَ». قَالُوا: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيْبًا مِنْ أَرَاكِ. وَإِنْ كَانَ قَضِيْبًا مِنْ أَرَاكِ». قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [5]. هذا الوعيد الشديد يدخل في القلوب الرعب ويمنعها من الاقتراب من أموال الغير بالرشوة أو بالاحتيال أو بسائر الوسائل والذرائع التي يعتدي بها الناس على أموال بعضهم البعض.

حرمة الجيرة: فهي صمام أمان المجتمعات وقد عرفها العرب في جاهليتهم فمن شعر عنترة:

وأغص طرفي إن بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي ما واهها
وجاء الإسلام ليؤكد على رعاية حرمة الجار عَنْ أَبِي شَرِيْحٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمُنُ جَارُهُ بِوَابِقِهِ» [6] [شروحه] وكان النبي ﷺ يستعيز بالله تعالى من جار السوء الذي إذا علم شرا أذاعه وإذا علم خيرا كتمه.

حرمة الزواج: أكد الإسلام على حرمة الزواج فسمى الرابط بين الزوجين ميثاقا غليظا، وبين أن ما يستحله الزوج من أهله ليس بسبب **المهر** أو غيره، بل بما عبر به النبي ﷺ بقوله: “اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ [7]. كل هذه النصوص وغيرها تؤكد على حرمة هذه العلاقة، فلا يصح أبدا أن يجعل الرجل من العلاقة الخاصة بينه وبين أهله مادة للحديث بين الرجال أو تجعلها المرأة أداة للتسلية بين النساء، ولا يصح أبدا لكل صاحب دين أو خلق رجلا كان أو امرأة أن يتحدث بالسوء عن من شاركه حياته أثناء التحضير للطلاق أو بعده فهذا ليس من شيم الكرام.

حرمة الصداقة: العرب تقدر لتناول الطعام قدره فتقول: “من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك”، فما بالناس بالمشاركة في الآلام والآمال والأفراح والأحزان ما بالناس بصداقة تدوم لسنين، ثم بعد ذلك يتحقق في أحد الصديقين أو فيهما معا شيئا من صفات المنافقين فيغدر بعده ووعده ويفجر في الخصومة ويكشف كل سر ائتمنه عليه صاحبه.

هذه الحرمات وغيرها يذكرنا شهر رجب وغيره من الأشهر الحرم برعايتها وصونها من عدوان النفس الأمانة بالسوء وتحريض شياطين الإنس والجن على انتهاكها، فالعالم أصبح غابة وإن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب، وينبغي دائما أن تمتلك زمام المبادرة وأن تكون يدك هي الطولى، هذه الأفكار الخبيثة هل يجد الشيطان شرا منها لكي يحرض الإنسان على الإثم والعدوان وهما من أقصر السبل لنيل غضب الله تعالى.

طريقنا لتحقيق عبوديتنا لله تعالى يمر عبر رعاية المحارم قال ﷺ: ” أَتَقِي الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ” [8]، والتعبير باتقاء المحارم يرشد إلى ضرورة الانتباه وأخذ الحذر فإن النفوس تقترب من المحارم شيئا فشيئا حتى تغرق فيها.

والناس إزاء المحارم أقسام، فمنهم من يجاهرون بانتهاكها ويفخرون بذلك بين من يعرفون ومن لا يعرفون، وآخرون تسفلوا فأحبوا أن ينتشر ارتكاب المحارم بين الناس حتى لا يظهر انحرافهم عن الصراط المستقيم، وقسم ثالث يقع في المحارم في لحظات ضعف أو بسبب بيئة فاسدة، ولهؤلاء نسوق قوله تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: 135].

نحتاج إلى تعلم ما حرمه الله حتى لا نقع فيه بغفلة أو سوء فهم، ونحتاج مع العلم بما أحله الله وما حرمه أن نملأ القلوب بمحبة الله تعالى ومهابته وتعظيم أمره ونهيه.

كلما راعينا الحرمات راعى غيرنا حرماننا وحسبوا ألف حساب قبل أن يغضبونا. كلما راعينا حرمان الله تعالى في رجب وفي غيره من الأشهر، كانت قدرتنا على لجم من يفكر في الاعتداء على مقدساتنا.